عمدة علم النفس
نموذج تربوى

أ. أمين صبرى نور الدين*

كان يوم الاثنين – وهو آخر يوم رأيته فيه قبل رحيله عنا بخمسة أيام – يومها؛ كان فى مقر الجمعية النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس وقد أشار لى أمام أحد دواليب الحجرة والذى يحتفظ فيه بمطبوعات الجمعية قائلا لى : «فى هذا الدولاب أحتفظ بجميع مطبوعات الجمعية التى نفدت لن أخرجها منه أو أفرط فيها لأنها تمثل تاريخ الجمعية» .

وفى هذا اليوم جالسته طويلا حيث استعرض معى صفحات موقع الجمعية على الشبكة العالمية الانترنت . كنت أنصت إليه باهتمام فيما يقوله ويحكيه . وعندما استعرض صفحات موقع الجمعية وأعجب بها كثيراً رغب أن يكون العدد التذكارى للجمعية يظل اسمه عليه لأنه كما ذكر من إنتاجه العلمى ، فطمأنته أن اسمه سيظل مرتبطا بهذا الكتيب الذى دون فيه تاريخ الجمعية .

هكذا كان أستاذنا الراحل العظيم فؤاد أبو حطب لقد كانت صدمتنا فى فراقه مؤلمة . فلم نكن نتصور يوما أنه سيرحل عنا بهذه الصورة المفاجئة . فقد كان مركز ثقل لا حدود له فى أى جلسة علمية ، وكنا دائما نتطلع فى نهاية الأمر إلى رأيه الذى يحسم أى خلاف ويجمع كل اختلاف .

إذا استعرضنا طريقة مفتاح الشخصية التى استخدمها الأديب العملاق عباس محمود العقاد فى عبقرياته فإن مفتاح شخصية أستاذنا الراحل هو «العمدة» . فقد كان بحق العمدة فى دوار علم النفس إن جاز التعبير .

لقد كانت له علاقات طيبة بجميع أساتذة علم النفس وغير علم النفس ولقد شهدت ذلك بنفسى من خلال تقربى منه لا سيما فى الفترة الأخيرة . ولم يكن يشق خلافا بين أى منهم بل على العكس تماماً كان يحوى أى خلاف فى ندوات الجمعية المختلفة . ويعمل على إحداث توازن لأى جلسة علمية . ووجوده يشيع جوا من

(*) مدرس مساعد بقسم علم النفس – كلية التربية : جامعة عين شمس .

الطمأنينة نستشعر به . وقد تشهد الجمعية فى مؤتمراتها المختلفة بعض الاختلافات فى الآراء أثناء مناقشة الأبحاث المختلفة فى جلساتها ؛ فنجد فى النهاية أستاذنا الراحل يستوعب أى خلاف تتعرض الجلسة له بحنكة سياسى وبفكر عالم . فهو بحق شخصية العمدة فى جلساتنا العلمية المختلفة .

لقد كان أستاذنا الدكتور فؤاد يحظى باحترام الجميع سواء طلاب الجامعة أو أساتذتنا الأفاضل على المستوى الجامعى أو على المستويات الأخرى .

كان أهم مايميز أستاذنا الفقيد ؛ هو تقبله للرأى الآخر ، فلم يفرض على أى من طلابه أو مناقشيه رأيا بعينه ؛ أو يفرض على الآخرين ما يراه صوابا ، بل كان محايدا إلى أبعد درجة . من ذلك أذكر أننى عندما عينت فى المركز القومى للامتحانات وكان أستاذنا الدكتور فؤاد وقتها مديرا للمركز ذهبت إليه أستشيره فى تقديمى لإعلان قسم علم النفس الذى طلب فيه معيدين وهو أيضا كان يشغل وقتئذ رئيسا للقسم فكنت فى حيرة من أمرى بين تعيينى الجديد فى المركز الواعد وتعيينى بالكلية التى أشرف الآن بالانتساب إليها . وطلبت منه المشورة فى حجرته بالمركز . فلدهشتى لم يشر إلى بشئ محدد ، بل قال لى : «هذا مستقبلك أنت وعليك أن تختار بينهما» ولم تكن صورة المستقبل متضحة كما هى الآن . ولذلك تعجبت من رده هذا. لكن لم أشأ أن أتبين بعد ذلك وجهة نظره المحايدة تماما ، حتى مع تلامذته فقد كان وقتها مشرفا علي فى الماجستير .

وعندما كان يناقشنى فى رسالة الماجستير أشار فى معرض مناقشته أنه كان يقترح علي أمور فى عرض الرسالة ولم آخذ بها ، ولم يفرضها هو على ، ولم يغضب بل استحسن هذا السلوك . وأكد أنه يحب من طلابه أن يكونوا مستقلين بآرائهم ؛ متحملين تبعات ذلك . هكذا كان عمدتنا الراحل يغرس فى طلابه استقلال الرأى وتحمل المسئولية .

كان أستاذنا الراحل طيباً إلى أبعد ما يكون بخلاف ما يراه بعض طلابه ، حتى أنه فى مرات عديدة يسمح لطلابه بعقد امتحان أعمال السنة لهم مرتين بل ثلاث مرات أحيانا وقد شهدت ذلك عندما كنت اصحبه فى مقرر الإحصاء للدبلوم الخاص والماجستير .

وهو خفيف الظل ، سريع البديهة ، ضحكته قريبة منه دائماً ، ويحمل فى طيات صدره قلب طفل ولكن يحوى رأسه عقل عالم مفكر يتابع كل جديد دائماً فى تخصصه أو فى التخصصات المرتبطة الأخرى ؛ أما جسده فجسد شاب . لقد كنا نحسده على فورة نشاطه فى سفره ، وترحاله من مدينة إلى أخرى . بل من دولة

إلى دولة : يلقى ندوة ، أو يدير جلسة ، أو يرأس مؤتمراً ، وتنبض أحاسيسه بمشاعر مرهفة تجاه الزملاء الراحلين فيعقد الندوة تلو الأخرى تأبينا لأساتذتنا الذين فقدناهم داعيا إيانا للتحدث عنهم . وحماسه للحق لايبارى ، ولا ننس وقفته الجبارة فى محاولات إلغاء كليات التربية .

لقد كان أستاذنا الدكتور فؤاد دقيقا فى مواعيده مع طلابه فلم يتوان عنهم أو يتأخر بل يبكر بالمجئ إليهم مبكرا . وكان قدره مثله تماما دقيقا فى موعده ، فلم يمهله ولو حتى دقيقة واحدة ليدخل بسيارته إلى الكلية ! بل فاضت روحه الطيبة قبيل بوابة الكلية ببضعة أمتار .

فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَستَئخِرُنَ سَاعَةً وَلاَ يَستَقدِمُونَ .

رحم الله الأستاذ الفقيد الراحل وجزاه الله عنا خير الجزاء بكل كلمة علمها لنا أو تعلمناها منه ونفعنا بكتبه القيمة التى تعود عليه كصدقة جارية .